دار الحياة

بورتريه - الشاعرة المهاجرة ناتالي حنظل ... بلا لغة أم

الجمعة, 11 ديسيمبر 2009

هل يمكن الشعر أن يكون بديلاً عن الوطن أو البيت أو الهوية؟ وهل تستطيع اللغة أن تشق الطريق إلى هذا الوطن أو البيت المفترض؟ كيف يمكن أن تفكر بلغة وتكتب بغيرها وأنت تكتب بأكثر من لغة وتعيش في أكثر من مكان في الوقت نفسه؟ كيف يمكن الشاعر أن يكتب من دون أن يحضر هو شخصياً في صميم الكتابة؟ من أين يأتي الشعر في هذه الحالة وهل هناك تأثير كبير للزمان والمكان في كتابة قصيدة ناضجة؟

قد نستطيع أن نجد معادلاً موضوعياً لتشظي المكان لكننا لن نستطيع أن نحدِّد صفات الكائن المتشظي مهما كانت هذه الصفات راسخة ومتجذرة، لأنها ذاكرة نكوصية حلمية تنظر إلى الجذور البعيدة بصفتها هوية صلدة وغير قابلة للانفراط. هل هناك دواع للسؤال عن الهوية في هذه الحالة؟

تعيش الشاعرة الأميركية - الفلسطينية الأصل ناتالي حنظل المولودة في إحدى جزر الكاريبي (1969) هذه المفارقة بكل تجلياتها، فهي تفكر باللغة العربية وتكتب باللغتين الانكليزية والاسبانية وثقافتها فرنسية – أميركية لاتينية وتعيش في أميركا وأمريكا اللاتينية. لكنها عندما تعود إلى بيت لحم مسقط رأس والديها في زيارات خاطفة لا تشعر بالصدمة الثقافية التي يعيشها المنفيون عادة لأنها تعيش هذه الصدمة أينما حلَّت.

الحل المنطقي الذي توصلت إليه من اجل أن تكون لها هوية هو أن تكون مواطنة كونية وهويتها «الإنسانية» بحيث يتحول الزمان والمكان واللغة والثقافة بالنسبة لها إلى عالم واحد لا يتجزأ في مقابل التشظي وتمزق الهوية. إنها تنتمي إلى تلك المناطق التي تنتعش فيها الأسطورة وغالباً ما تجد نفسها هناك لأن ذلك يمنحها توازناً لا تجده في مكان آخر.

ليست لها لغة أم ولا تاريخ شخصي، لكنّ هذا التاريخ ينبي وفقاً لتاريخ مدينة بيت لحم مسقط رأس والديها وجدّتها اللبنانية التي أثرت فيها كثيراً، وتحاول قدر مستطاعها أن تحافظ على تاريخ هذه المدينة التي بدأت تخاف مما يحدث فيها هناك. وعندما اندلعت حرب «تموز» في لبنان كانت هناك قبل بدء الحرب وغادرت قبل أسابيع قليلة من اشتعالها « كنت اشعر بعد قيام الحرب بأنني قريبة جداً من لبنان، الحرب دمرت أماكن في بيروت مازلت احتفظ بذكرى عنها».

تشعر بأنها لاجئة دائماً لأنها لا تستطيع أن ترى طريقاً للعودة والمنفى بهذا المعنى يجعلها تقيم في اللغة الأولى، غير أنها تتحرر أحياناً إلى درجة تتخلى فيها عن كل شيء وتنحاز إلى الإنسانية المجردة من الانتماء والهوية الضيقة. إنها توجه خطابها إلى العالم اجمع حتى وهي تتحدث عن اصغر التفاصيل. لم تتأثر بالأدب العربي لأنها لم تقرأه إلا مترجماً ولكنْ يبقى محمود درويش بشخصه وشعره، ذا تأثير كبير على شعرها وحياتها. سعدي يوسف وسركون بولص ونازك الملائكة حاضرون في شعرها خصوصاً قصيدة سعدي «أميركا... أميركا» التي تحفظ مقاطع طويلة منها.

في قصيدة لها ترثي بها مواطنها محمود درويش الذي التقت به مرات كثيرة في باريس يبدو واضحاً حضوره القوي في لغتها وصورها الشعرية ربما لأن القصيدة تتحدث عنه كمفقود خاص بالنسبة لها خصوصاً أن درويش ترك أيتاماً كثيرين في كل مكان:

«نحسدُ أولئك الذين/ يمرّون بنا خِفافاً./ هم ينامون في أسرّتهم/ ونحن نبحثُ عن أسرّتنا./ البيتُ أبعدُ، أبعدُ، منّا -/ زهرُ برتقالٍ، زيتونٌ، وقهوةٌ.

لكنها في قصائد أخرى كثيرة وبسيطة من ديوان «الحقل اللامتناهي» تلوذ بالحب كآخر معقل تنتهي عنده كل أشكال سوء الفهم، هذا الحب الذي يتجاوز معانيه التقليدية ليشمل العالم بدءاً من العائلة الصغيرة الموزعة في أماكن كثيرة من هذا العالم إلى الأسرة الكبيرة التي هي العالم نفسه وقد توحدت فيه اللغة والهوية. إنها بذلك وبدلاً من أن تلعن هذا التشظي تحاول أن تحتويه أو أن تجاوره على اقل تقدير، قبل أن يقوم بسحقها وتحطيمها كما حدث للكثير من الكتاب والشعراء المغتربين في كل زمان ومكان. ولأنها كما قلنا تفكر بالعربية فهي تكتب عن لبنان كما تكتب عن فلسطين لأنها تعتقد أن هذين البلدين من أكثر المناطق اشتعالاً في العالم «ويستحقان منا أن نكتب عن المعاناة التي يعيشها الشعب العربي هناك وان ندع العالم يلتفت إلى هذه المنطقة التي لا تهدأ فيها الحروب».

أصدرت ناتالي حنظل أربع مجموعات شعرية باللغة الانكليزية وقُدّمت لها مسرحية في نيويورك، وقامت قبل فترة بإعداد انطولوجيا عن الشعر النسائي في بعض البلدان العربية، وتعتزم مع فريق من الشعراء إعداد انطولوجيا أخرى أوسع من سابقتها تشمل بلدان الشرق الأوسط وآسيا وهي مخصصة للأسماء المؤثرة في بلدانها الأصلية.

للأعلى

Source URL (retrieved on *03/10/2010 - 00:37*):
http://international.daralhayat.com/internationalarticle/85149
copyright © daralhayat.com